بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد

في الاحتفال لتأبين الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله

أيتها الأخوات، أيها الإخوة، أيها الحفل التأبيني الكريم:

أسعد الله أوقاتكم.

ما كنت أحسبني يوماً أن أقف مؤبناً فقيد العلم والوطن الصديق الأستاذ الدكتور موفق دعبول رحمه الله ,الذي تزيد معرفتي به على أربعين عاماً، إذ تزاملنا معاً في لجان عدة، وتوطدت وشائج الصداقة بيننا انسجاماً في الرؤية، واحتراماً في التعامل، واتفاقاً في معالجة الأمور في الأعم الأغلب.

كان أول لقاء بيننا في لجنة تعادل الشهادات بمجلس التعليم العالي ,عندما كان المجلس وكلية التربية بجامعة دمشق في مبنى واحد في ثمانينيات القرن الماضي، واشتركنا معاً في تقويم الإنتاج العلمي لبعض المرشحين للتعيين في عضوية الهيئة التدريسية في جامعة دمشق،وكانت رؤيتي ورؤية فقيدنا منسجمتين في عملية التقويم، وأعجبت يومها بموضوعيته.

وعندما كان رئيساً لتحرير مجلة جامعة دمشق ,طالما اجتمعنا لتداول الرأي في البحوث المقدمة للنشر في المجلة، وكان حريصاً أيما حرص على انتقاء البحوث الجادة والأصيلة في مَنأًى عن أي مجاملة أو تساهل في صلاحية هذه البحوث، وأميناً على إنفاذ ما أُسند إليه بكل كفاية، وأعجبت بغيرته على سلامة اللغة العربية ومحبته لها.

وفي أثناء تسلمي عمادة كلية التربية بجامعة دمشق عام 1986 طلب إلينا رئيس الجامعة آنذاك الأستاذ الدكتور زياد شويكي شفاه الله أن نتدرب على استعمال الحاسوب في قسم الرياضيات بكلية العلوم، وكان فقيدنا وقتها رئيساً لقسم الرياضيات في الكلية ,وجرى التدريب بإشرافه، وعندما افتتح قسم المعلوماتية في كلية العلوم كان بإشرافه، وكانت ابنتي الدكتورة رفيف قائمة بالأعمال بعنايته الحانية في هذا القسم آنذاك، قبل أن تحدث كلية الهندسة المعلوماتية حيث صار عميداً لها الدكتور عماد مصطفى رعاه الله.

ثم تعددت لقاءاتنا في مكتبه عندما غدا وكيلاً لجامعة دمشق للشؤون العلمية , فكان رحمه الله يدقق في تقارير فحص الإنتاج العلمي لأعضاء الهيئة التدريسية المرشحين للترقية من مرتبة إلى أخرى، ويشكو بمرارة عندما يجد خروجاً عن النواظم والمعايير المعتمدة في الترقية.

وعندما تسلّمت وزارة التربية عام 2001 كان رحمه الله يحضر الاجتماعات التي كنت أعقدها للجنة المعلوماتية في الوزارة، ويسهم في تطوير أعمال هذه اللجنة، وكنت أستشيره في تطوير مناهج الرياضيات في المرحلة قبل الجامعية، ولا يمكن أن أنسى حماسته للغته الأم العربية الفصيحة، وحرصه على وضع الرموز العلمية باللغة العربية في المعادلات الرياضية، وردّه على حجج الداعين إلى أن وضع المعادلات بالرموز الأجنبية يسهّل على الطلبة الدارسين دراستهم الجامعية.

أما زمالتنا في مجمع اللغة العربية ,فقد تجسّدت في أعمال لجان عدة منها لجنة النشاط الثقافي،ومكتب المجمع وجلسات المجمع، ولجنة تقويم عمله ولجانه .وأما عملنا معاً في لجنة التمكين للغة العربية برئاستي فقد استمر خمسة عشر عاماً ,بدءاً من تاريخ تشكيلها في بداية عام 2007 إلى حين وفاته رحمه الله عام2021 ، وكان عمل اللجنة يجدَّد بقرار جمهوري سنوياً .كما عملنا معاً في لجنة النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة ,التي شُكِّلت بقرار جمهوري بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي في دمشق عام.2008

ولم تقتصر العلاقة بيننا على الزمالة في اللجان، وإنما امتدت إلى مراكز التواصل الاجتماعي حيث كنت أتبادل معه الأخبار والمعلومات والطُّرف ووجهات النظر.

تلك هي إشارة إلى المواقع التي عملنا فيها معاً، ولقد عرفته عن قرب، فعرفت فيه الصديق الصدوق، والمخلص الوفي، والرأي السديد، والتهذيب الجم، والكياسة الفائقة، والمرونة في التفكير، كما عرفته عالماً بكل ما تحمل كلمة عالم من مَعانٍ ثقافةً ومعرفةً وتواضعاً وسمواً في الخلق، ومن هنا كان غيابه خسارة للعلم والثقافة والوطن والأمة.

وعرفت فيه أيضاً الجدية في العمل، وقوة الإرادة، والاعتزاز بتراث أمته الحضاري، ولكم كانت نظرته إلى تراث أمته تتسم بالمنطق والصواب ,عندما رأى أن نظرة القداسة إلى التراث غير صحيحة على الإطلاق ,لأن في التراث الغثَّ والسمين، ويحتاج إلى الغربلة والتصفية بحيث لا نستبقي منه إلا ما يفيدنا في حاضرنا وتوجهنا المستقبلي.

لقد تعدّدت السمات الإيجابية في شخصية فقيدنا الكبير وسلوكاته، وأكثر ما كان يسترعي انتباهي احترامه للوقت تعظيماً والتزاماً به أيما التزام في الأحايين كافة، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالوقت في أكثر من آية في القرآن الكريم دلالةً على عظمته، فما اعتذر فقيدنا عبر مسيرته العملية عن عدم حضور أيّ اجتماع، إذ إنه كان يحضر الاجتماعات في مواعيدها المحددة، ويكون أول من يجيء إليها والابتسامة على محياه، والهدوء والاتزان في تبيان آرائه في هذه الاجتماعات، وحرصه الشديد على احترام وجهات النظر الأخرى بكل تهذيب ولياقة، ورفق وهدوء واحترام، وأن الاحترام لا يدل على الحب فقط، وإنما يدل على حسن التربية، كما أن أناقة اللسان هي ترجمة لأناقة الروح عند الحوار وجلاء وصراحة، فما جامل على حساب الحقيقة، ولا راعى في منأى عن المصلحة العامة، وكان في ردوده كافة يتسم بالكياسة والرفق انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف" ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزُع من شيء إلا شانه"، وما رأيته يجرح آخَرَ في أثناء حديثه، وإنما كان يعبّر عن رأيه والابتسامة على محيّاه.

وكان رحمه اله في اجتماعاتنا كافة يقدم الأدلة المنطقية والتعليلات الواضحة والداعمة في أثناء المناقشات ورده على ما يطرح من أفكار، فكان رأيه السديد محل تقدير وإكبار من الآخرين، ولقد كان ثمة انسجام في رؤيتنا لما يطرح ويناقش، وطالما كانت العيون تلتقي معبرة عما في القلوب والنفوس، ألم يقل شاعرنا:

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها   من المحبة أو كرْهٍ إذا كانا

وأكثر ما كانت تعجبني في شخصيته النزعة التفاؤلية ,والتحلي بالتفكير الإيجابي في نظرته إلى الأمور ودراسة الظواهر، فما تسلل اليأس يوماً إلى تفكيره، وإنما كان دائماً مشجّعاً ومعززاً وحاثّاً على المضي في الدرب,في منأى عن كل تثبيط وتيئيس , على أن يكون التفاؤل دائماً زادنا في النظرة إلى المستقبل، وكان يعدّد الإيجابيات في أي موضوع مطروح، ثم يذكر بكل موضوعية ما لم يُنْجزْ مقدّماً جرعة التفاؤل بمستقبل مشرق مهما ادلهمت الخطوب وتلبّدت الأجواء، وبرغم العقبات المعترِضة والصعوبات الحائلة دون التنفيذ، وداعياً إلى التحلي بالصبر مذكراً إياي بالبيت الشعري الذي طالما استشهدت به في هذه الحالات وهو:

أَخْلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته   ومُدْمِنِ القرع للأبواب أن يلجا

وكان يرى أن الشكوى لا تجلب إلا الهم، في حين أن التمسك بحبل الله يأتي بالانفراج وإبعاد الغمّ، والواقع ما كان الإيمان إلا نصفين أولهما الحمد لله، وثانيهما التحلي بالصبر، وأن من يحدّثنا عن زمن مخيف فعلينا أن نحدّثه عن رب لطيف، وأن مع العسر يسراً، وأن نور الفجر يجيء بعد الظلام.

ولقد أرسلت إليه رسالة عن طريق مراكز التواصل الاجتماعي عنوانها" علمتني الرياضيات "جاء فيها:

علمتني الرياضيات:

-أن السالب بعد السالب يعني موجباً، فلا تيأس فالمصيبة بعد المصيبة تعني الفرج.

-الانتقال من جهة إلى أخرى سيغيّر من قيمتي، وأنه متى ما كبر المقام صغر كل شيء.

-أن بعض الكسور لا تجبر.

-أنه يمكننا الوصول إلى نتيجة صحيحة بأكثر من طريقة، فلا تظَنَنَّ أن وحدك صاحب الحقيقة، وأن كل من خالفك مخطئ.

-أن لكل مجهول قيمة، فلا تحتقر أحداً لا تعرفه.

-أن ثمة شيئاً اسمه مالا نهاية، فلا تكن محدود الفكر والطموح.

-أن العدد السالب كلما كبرت أرقامه صغرت قيمته ,كالمتعالين على الناس كلما ازدادوا تعالياً صغروا في عيون غيرهم.

-أن لكل متغير قيمة تؤدي إلى نتيجة ,فاختر متغيراتك جيداً لتصل إلى نتيجة ترضيك.

ولقد عقّب رحمه الله على هذه الأقوال قائلاً :أخي الغالي :علمتني الحياة أن عزيزي الدكتور محمود موسوعي رائع حضاري بقلب كبير وفكر حقيقي حفظك الله ورعاك.

ورددت عليه قائلاً :أخي الدكتور موفق :وأنا بدوري علمتني الحياة أن عزيزنا الغالي الدكتور موفق ذو قلب كبير وعقل مستنير، وجدير بكل احترام وتقدير، حفظه الله وحماه، ومدّ في عمره ورعاه.

لقد كان صديقنا الراحل أريحياً بكل ما تحمله كلمة أريحية من معنى، إذ إنه كان يرتاح للعطاء، ويشعر بالفرح والمسرة عندما يقدم خدمة لصديق، ولم تكن الابتسامة

لتفارق محياه أمارة على سعادته عندما يلبي طلباً لصديقه، ومما أتذكره في هذا المجال أنني طلبت إليه مساعدة طالبةٍ متفوقة إلا أن وضعها المادي سَيِّئ، وذلك بأن تكون دراستها في جامعة القلمون الخاصة ,التي كان هو رئيسها لها آنذاك ,بطريق منحة جامعية، فاستجاب مشكوراً .وعندما احتل الأمريكان العراق لجأتْ إلى سورية كوكبة من أطر تدريسية جامعية، ومن بين هؤلاء اللاجئين صديق متخصص بالعلوم وابنه متخصص في المعلوماتية، وكانا في أمس الحاجة إلى المساعدة، فرجوت الأستاذ الدكتور موفق أن يساعدهما، فما كان منه رحمه الله إلا أن وفّر موقعاً للدكتور المتخصص في المعلوماتية في إحدى الجامعات الخاصة، وفعلاً لا يعرف الصديق إلا في وقت الشدة والضيق، وكان رحمه الله هو ذلك الصديق المعطاء، والمفضال، والأريحي والوفي.

كان صديقنا الراحل طيّب القلب، رقيق الشعور ومرهفه، عذب الحديث وواضح الفكر، وصريح الكلام، وما عرفت فيه إلا الخلق الكريم وحرصه على إتقان الأداء،ومساعدة الآخرين، وهذه الصفات كافة جعلته محترم الرأي في جميع المواضع التي عمل فيها،ومحبوباً من الجميع بفضل تواضعه وإخلاصه ووفائه لأصدقائه ووقوفه إلى جانبهم، وتعد قيمة الوفاء من أسمى القيم وأنبلها، ورحم الله أستاذنا المجمعي الراحل عبد الكريم اليافي الذي قال:

إن الوفاء سجية لا يزدهي　　بجمالها إلا كريم العنصر

وثمة مقولة تشير إلى أن شخصية المرء لا تعرف إلا في أثناء السفر، ذلك لأن السفر يسفر عن السلوك والتصرفات، وفي هذا المجال لا يمكنني أن أنسى سفرتنا معاً

إلى مؤتمر أقامته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة) الاسيسكو (في الرباط عام 2000، وكانت قرينته الفاضلة السيدة أم يمان برفقته في تلك الرحلة، ولكم أعجبت بمعاملته الحضارية الراقية في سلوكاته وتصرفاته تجاه رفيقةِ دربه مدَّ الله في عمرها، وغني عن البيان أن الشخصية المتكاملة تأبى إلا أن تتجلى في جميع المواقف.

ومن هذه المواقف أيضاً عنايته ببناء العمارات البشرية، إذ أنه قدّم للوطن أربعة أطباء مشهورين بكفايتهم، وما كان لهذه الشهرة أن تتجلى إلا بفضل الرعاية الحانية لفقيدنا وحرمه المصون.

إن فقدك أيها الصديق الغالي خسارة كبيرة ليس لأسرتك فقط، وإنما لأصدقائك، وعارفيك ومجتمعك وأمتك، خسارة للعلم والثقافة، ومعذرة إذا كنت لم أتمكن في هذه العجالة من إيفاء مجدك حقه، ولكن ستبقى حياً في نفوسنا وخفقاً في قلوبنا ومثالاً في تطلعاتنا إلى ما فيه نبل الحياة وشرف الانتماء والتفاؤل بمستقبل الأمة.

إننا نتقدم من أسرة الفقيد وحرمه الفاضلة وكريمتيه الدكتورة لينة والدكتورة أماني وابنيه الدكتور يمان والدكتور بشر وآل دعبول الكرام وذويه بأصدق التعازي، ونسأل المولى تعالى أن يتغمد فقيدنا بواسع رحمته سَعَةَ ما قدمه لأمته من أفانين العلم والثقافة، وأن يجزيه عن خدماته أوفى الجزاء، وأن يسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه وأصدقاءه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.